

أو من قطرات الندى لثقل منها على حياتنا ما يثقل من الحديد والصوان ! إذ هي لاتلد أشعة كواكب ولا قطرات ندى ، وحسب الجسد برأس واحد حملاً .

قال : ومن الذى تعرض عليه الحياة سلامها وتحياتها وأشواقها فى مثل رسالة غرام ثم يدع هذا ويسألها غضبها وخصامها ولجاجتها فى مثل قضية من قضايا الحاكم ، كل ورقة فيها تلد ورقة . . . !

ثم قال الشاب : لانهب أن المرأة هى السافرة عندنا ، ولكن اللذة هى السافرة ؛ وما أحكم الشرع ! أقول لك وأنا محام يقرر الحقيقة : — ما أحكم الشرع الذى لم يُرخص فى كشف وجه المرأة إلا للضرورة ، فإن الواقع فى الحياة أن هذا الكشف كثيراً ما يكون كتنقيب اللص على ما وراء النقب ؛ وإذا كسر ما فوق القفل من الخزانة المكتنز فيها الذهب والجواهر فالباب الحديد كله سخرية وهزؤ من بعد . . . !

\*\*\*

هذه عقلية شاب محام طوى عقله على الكتب القانونية وطوى قلبه على مثلها من غير القانونية . وليس يمتري أحد فى أنها عقلية السواد من شبابنا الثقف الذى لبس الجلد الأوربي . ومن البلاء على هذا الشرق أنه مابرح يناهض المستعمرين ويوائهم غافلاً عن معانيهم الاستعمارية التى تناهضه وتوائمه ، جاهلاً أن أوروبا تستمر بالذهاب العلية كما تستمر بالوسائل الحربية ؛ وتسوق الأسطول والجيش ؛ والكتاب والأستاذ ، واللذة والاستمتاع ، والمرأة والحب . ولو أن عدواً رماك بالنار فاستطارت فى ثيابك أو متاعك لما دخلك الشك أن عدوك هو النار حتى تفرغ من أمرها . فكيف لعمري غفل الشريقون عن أخلاق نارية حمراء يأكلهم بها المستعمرون أكلًا كأننا يتضجونهم عليها ليكونوا أسهل مساعاً ، وألين أخذاً ، وأسرع فى المهضم . لم أنهم أنا من كلام صاحبنا الشاب ومعانيه إلا أن أوروبا فى أعصابه ، وأما مصر ونساؤها ورجالها فقل طرف لسانه لا تكون إلا صيحة ، وليس بينه وبينها فى الحياة عمل إلا من ناحية لذته بها ، لامن ناحية فائدتها منه .

وتلك المعانى كلها مشتق بعضها من بعض ، ومرجعها إلى

## استنوق الجمال . . .

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

قال الشاب : لا يقبل لى بهذا التعب المُعنى الذى يسمونه « الزواج » فما هو إلا بيت ثقله على شيخين : على الأرض ، وعلى نفسى ؛ وامرأة همها فى موضعين : فى دارها ، وفى قلبي ؛ وما هو إلا أطفال يلزمونى عمل الأيدي الكثيرة من حيث لا أملك إلا يدين اثنتين ، وأتحمل فيهم رهقاً شديداً كأنما أبنيهم بأبى ، وأجمع هموم رؤوسهم كلها فى رأس واحد هو رأسى أنا ؛ يولد كل منهم بعمدة تهضم لتوتها وساعتها ، ثم لا شيء ممها من يد أو رجل أو عقل إلا هو عاجز لا يستقل ، متخاذل لا يطيق ولا يقدر .

قال : وإذا كان أول الزواج أى عسله وحلواه أنه امرأة تُذهب عُزوبتى — فأنا وأمثال ما تزال فى عسل وحلوى ؛ ولكل وقت زواج ، ولكل عصر أفكار ، وما أسخف الليال إذا هى ترادفت على ضرب واحد من أحلامها ، فهذا يجمل النوم حكماً بالسجن عشر ساعات . . . !

قال : وإذا أردت أن تستكشف القصة فاعلم أننا نحن العزّاب قوم كرجال الفن ؛ رذيلتهم فنيّة ؛ وفضيلتهم فنيّة ، فتلك وهذه بسبيل ؛ وكل شيء فى الفن هو لموضعه منه لا من غيره ؛ فإذا قلت : هذا خال من الفضيلة عار من الأدب ، وعببت الفن لذلك — فما هو إلا كعميك وجه المرأة الجميلة لأنه خال من لحية . . . ! هات الظلام وسواده ، فانه لون كالنور وإشراقه ، لا بد من كليهما ؛ إذ المعنى الفنى فى تناسب الأشياء لا فى الأشياء ذاتها ؛ ويد الفنى كيد الفنى ؛ هذه لا يقع فيها الذهب إلا ليمتد ثم يتعد ؛ وتلك لا تقع فيها المرأة إلا ليمتد ثم تتعد ؛ وفى كل دينار قوة جديدة ، وفى كل امرأة فن جديد .

قال : ومذهبنا فى الحياة أن نستمتع بها ضرورياً وأفانين ؛ من أطاق أنواعاً لم يقتصر على نوعين ، ومن قدر على نوعين لم يرض الواحد ؛ ولو أن زوجة كانت من أشعة الكواكب

والنفس الدينية أو المنحطة في أخلاقها ومنازعتها من الحياة لا تكون إلا دينية أو منحطة في أحلامها وأخيلتها الروحية ، دينية كذلك في طاعتها إن قضت عليها الحياة بموضع الخضوع ، دينية في حكمها إن قضت لها الحياة بمنزلة من السلطة . ولو انتهت الحكومة لطردت من عملها كل موظف غير متاهل ، فإنها إنما تستعمل شرا لا رجلا يمنع الشر ، وكل شاب تلك حاله هو حادثة ترتد في الحوادث وتستلزمها ، وما يأتي السوء إلا بمثله أو بأسوأ منه .

\*\*\*

ليس للزواج معنى إلا إقرار طبيعة الرجل وطبيعة المرأة في طبيعة ثلاثة تقوم بالأمتين معا ، وهي طبيعة الشعب . فمن سقوط النفس ولؤمها ودناءتها أن يفر الشاب القوى من تبعة الرجولة ، فلا يحمل ما حمل أبوه من واجبات الانسانية ، ولا يقيم لوطنه جانبا من بناء الحياة في نفسه وزوجه ووالده ، بل يذهب يحمل نفسه فوق نفسه وفوق الانسانية والفضيلة والوطن جميعا ، ولا يعرف أن انفلاته من واجبات الزواج هو إضعاف في طبيعته لمعنى الاخلاص الثابت ، والصبر الدائب ، والمطف الجليل في أى أسبابها عرضت .

ومن فسولة الطبع ولؤمه ودناءته أن يهرب هذا الجندي من ميدانه الذى فرضت عليه الطبيعة الفاضلة أن يجاهد فيه لأداء واجبه الطبيعي متملا لقراره المحزى بمشقة هذا الواجب وما عسى أن يمانى فيه كما يحتج الجبان بخوف الملاك وعناء الحرب . ومن سقوط النفس أن يرضى الشاب كساد القتليات وبوارهن على الوطن ، وأن يتواطأوا على نبذ هذه الأحمال وإلقائها في طرق الحياة وتركها لمقاديرها المجهولة كأنهم أصلحهم الله لا يعلمون أن ذلك يضيع بأخواتهم بين القتليات ، ويضيع بوطنهم في أمهات الجيل المقبل ، ويضيع بالفضيلة في تركهم حمايتها وتخليهم عن حمل واجباتها وهومها السامية . إن الجمل اذا استنشق تخنث ولان وخضع ، ولكنه يحمل ، وهؤلاء اذا استنشقوا تخنثوا ولانوا وخضوا وأبوأ أن يحملوا .

ومن سقوط النفس في الرجل التمس العاجز المقصر أن يحتج لمزوبته بمله وجهل القتليات ؛ أو تمدنه وزعمه أمن

أصل واحد ، كالأمرض التى تبلى الجسم بمحمد شىء منها شىء ، ما دامت لبينة هذا الجسم زائنة أو مختلة ، أو متراجمة إلى الضعف ، أو ذاهبة إلى الموت .

وأولئك شبان وقف بهم الشباب موقف بلادة ، فلا يخطو الى الرجولة ، ولا يكمل بنموه الاجتماعى كما يكمل الرجل الوطنى ، فن ثم يكون خواراً لا يستطيع أن يحمل أثقالا مع أثقاله ويستولى العجز والتحول فلا يكون إلا قاعد المهمة رخوا العزيمة ، قد استنم الى أسباب عجزه وتخاذله ، ولا يكون في بعض الاعتبار إلا كالمرضى يعيش بمرضه حميلة على ذويه ضجعة لا يمشى ، شومة لا ينهض ، مستريحاً لا يعمل .

وبهذه المكسلة الاجتماعية في الشبان يبدأ الشعب يتحول من داخله فينصرف عن فضائله ويتخذ في مكانها فضائل استمارة يقد فيها قوما غير قومه ، ويجلبها لبيئة غير بيئته ، ويقصرها على أن تصلح له وهى فساد ، ويكثرها على أن تنفعه وهى ضرر ، وتلك حالة يفاقر فيها الشعب بكيانه فلا تلبث أن تصدعه وتفرقه .

ولو أن في السحاب مطرا وغيثا لما كان له في كل ساعة لون مصبوغ ، ولو أن في الشبان ديننا لما صفت تلك الاخلاق الفاسدة ، وما ذهاب الحارس عن مكان إلا دعوة للتصوص اليه ، وهل كان الدين إلا واجبات وتبعات وقبودا يراد من جميعها إعداد الانسان لأمثالها في الاجتماع ، حتى يفر في إنسانيته الصحيحة على النحو الذى يصلح له منفردا ويصلح له مجتمعا ؟ فليست الزوجة وحدها هى التى خسرت الشاب بل خسره معها الوطن والدين والفضيلة جميعا ، وبهذا انعكس وضعه من الجماعة ، فوجب في رأيه أن تسخر الجماعة له وأن يستقل هو بنفسه . وبهذا انعكس وهذا السقوط وهذا الاستمتاع الذى يجد سعاده في نفسه أصبح أولئك الشبان كأنما حققهم على المجتمع أن يقدم لهم بقايا لا زوجات . . . . بنايا حتى من الزوجات . . . . !

قبح الله عصرا يجمل الشاب فيه أن الرجل والمرأة في الوطن كلتان تفسر الانسانية إحداها بالأخرى تفسيرا إنسانيا دينيا بالواجبات والقبود والأحمال ، لا بالأهواء والشهوات والانطلاق ، كما تفسر الحيوانية الذكر والأنثى .

القوى الانسانية لا يعبأ بزخارف كهذه التي تتلبس بها المدينة الأوربية القائمة على الاستمتاع وفنون اللذات وانطلاق الحرية من الجنسين؛ فهذا بعينه هو التحطيم الانساني الذي ينتهي بهتدم تلك المدينة وخرابها؛ وإنما يعبا الاسلام بالمقيدة التي تنظم الحياة تنظيماً صحيحاً متساقفاً وانياً بالمنفعة، قائماً بالفضيلة، بعيداً من الخلاط والقوضى.

ويقابل ضعف التربية الدينية مظهر آخر هو سبب من أكبر أسباب السقوط، وهو ضعف التربية الاجتماعية في المدرسة؛ وإلى هذا الضعف يرجع سبب آخر هو تخنث الطباع واسترسالها إلى الدعة والراحة، وفرارها من حمل التبعة «السئولية» التي هي دائماً أساس كل شخصية قائمة في موضعها الاجتماعي.

وبذلك الضعف وذلك السقوط وضعت المرأة البني العاهرة في الموضع الطبيعي للأُم، ونزل الرجل السافل المنحط في المكان الطبيعي للأب، وتحملت قوى الوطن بانحراف عنصريه العظميين عن طبيعتهما، وجمعت فضيلة الفتيات السكينات تتأكل من طول ما أهملت، وأخذت سوس الدم يتركها فضائل نخرة ولا عاصم ولا دافع إلا قوة القساون وسطونه، مادامت الفضيلة في حكم الناس وتصريفهم قد تركت مكانها للقوانين، ومادامت قوة النفس قد انحلت موضعها للقوة التنفيذية.

لقد قتلت روحية الزواج، وهي على كل حال جريمة قتل، فمن القاتل يا صاحبا الحماي؟

قال الشاب: هو كل رجل عزرب

قلت: فما عقابه؟

فكنت ولم يرجع إلى جواباً

قلت: كأنني بك قد تاهمت وخلاك ذم... فما عقابه؟

قال: إلى أن تبلغ الحكومة أو أن تعاقب هؤلاء المزاب،

فليعاقبهم الشعب بتسميتهم أراذل الحكومة... واحدم: رجل أرملة حكومة...

ثم قال: اللهم يسرها ولا تجعلني رجلاً بنطتين: غلطة في

نساء الأمة، وغلطة في ألقاظ اللغة.

لنظا

مصطفى صادق الرافعي

لم يبلن مبلغ الأوربية، ولا يدري هذا النحط النفس أن الزواج في سناء الانساني الاجتماعي هو الشكل الآخر للاقتراع المكسري، كلاهما واجب حتم لا يتدر منه إلا بأعداد معينة، وماعداها فجن وسقوط وانحلال ولعنة على الرجولة.

ومن سقوط النفس أن يغنى الشاب عن الزواج لفجوره فيقره ويمكن له، وكأنه لا يعلم أنه بذلك يحطم نفسه، ويحدث جريمتين، ويجعل نفسه على الدنيا لمتين.

ومن سقوط النفس أن يغتر الشاب فتاة حتى إذا وافق غرتهما مكرها وتركها بعد أن يلبسها عارها الأبدى؛ فما يحمل هذا الشاب إلا نفس لص خبيث فأنك، هو أبداً عند من يسرقهم في باب الخسائر والتكبات، لا في باب الربح والمكسب؛ وعند المجتمع في باب الفساد والشرف، لا في باب الصلحة والخير؛ وعند نفسه في باب الجريمة والسرقة، لا في باب العمل والشرف.

\*\*\*

فسقوط النفس وانحطاطها هو وحده نكبة الزواج في أصلها وفروعها الكثيرة التي منها الفلاة والشطط في المهور، ومنها بحث الشاب عن الزوجة الغنية وإهمال ذات الدين والأصل الكريم لفقرها، ومنها ابتغاء الزوجة رجلاً ذاجاه أو تراء وعزوفها عن الفاضل ذي الكفاف أو اليسير على غني في رجولته وفضائله، كأنما هو زواج الدينار بالسيكة، والسيكة بالدينار، وكأن الطبيعة قد ابتليت هي أيضاً بالسقوط، فأصبحت تعتبر الفنى والفقر، تتجمل في دم أولاد الأغنياء روح الذهب واللؤلؤ والماس، وتلقى في دم أولاد الفقراء روح النحاس والخشب والحجارة... على حين أن الجميع مستيقنون لا يتدافع اثنان منهم في أن الطبيعة لا تبالى إلا بوراة الآداب والطباع.

وأعظم أسباب هذا السقوط في رأي هو ضعف التربية الدينية في الجنسين، وخاصة الشبان؛ ظناً من الناس أن الدين شأن زائد على الحياة، مع أنه هو لا غيره نظام هذه الحياة وقوامها في كل ما يتصل منها بالنفس. وليست المدينة الصحيحة كما يحسب المتبنون هي نوع الميشة للحياة ومادتها، بل نوع المقيدة بالحياة ومعانيها. وإلى هذا ترى كل مبادئ الاسلام؛ فان هذا الدين